

آلام الجلجلة والصلب ، وتذوب معالم المأساة ، فتنحول الى فضاء مهتم لا تحد آلامه حدود ، فيقول :

نرسم القدس :
اله يتعري فوق خط داكن الخضرة . أشباه عصفير
تهاجر .

وصليب واقف في الشارع الخلفي شيء يشبه
البرقوق والدهشة من خلف القناطر

وفضاء واسع يمتد من عورة جندي الى تاريخ شاعر(٥٤) .

ويزيد من وقع المأساة ان الشعب يحقن بمورفين الامل الكاذب ، فتنسج الاحلام وترتفع ،
وبذلك يكون الوقوع الى ارض الواقع أكثر ايلاما . وتتحد مأساة اللجوء الفلسطيني
بمأساة سقوط بابل ، فنتعيق المأساة وتتخذ بعدا جديدا ؛ فيقول الشاعر :

ونغني القدس :

يا أطفال بابل

يا مواليد السلاسل

ستمودون الى القدس قريبا

وقريبا تكبرون .

وقريبا تحصدون القمح من ذاكرة الماضي

قريبا يصبح الدمع سنابل .

آه ، يا أطفال بابل

ستمودون الى القدس قريبا

وقريبا تكبرون

وقريبا

وقريبا

هللوا

هللوا ! (٥٥)

وتنتهي عند هذا « المزمار » السبعة عشر بما يشبه الصلاة ، ولكنها صلاة غير المؤمن
الذي يتفوه بكلمات رددت على مسامعه ، وهو لا يصدقها ، ففقدت حرارة الايمان ،
وتكثف وقع المأساة التي اقترنت بلون من ألوان السخرية ساعد الشاعر على الارتفاع
عنها وتخطيها .

ويواصل محمود درويش في قصائد الديوان الباقية تغنيه بالمعشوقة الارض ، ويتخطى
الحب معناه الحصري الضيق ليصبح وسيلة لبث الحياة في الاشياء . ويصبح الحب معادلا
للحياة ، لان الشاعر يحيا باسم المعشوقة بياتريس ، التي تمنحه بالحب الحياة ؛ فيقول
في قصيدة « تقاسيم على الماء » :

احبك يوما

احبك قرب الخريف البعيد

تبر العصفير باسمي

طليقه

وباسمي يمر النهار

حديثه

وباسمك أحيا

احبك يوما ،

وأحيا . .

وراء الخريف البعيد(٥٦) .